HABIBIA ISLAMICUS
(The International Journal of Arabic &Islamic Research)
(Bi-Annual) Trilingual (Arabic, English, Urdu)
ISSN:2664-4916 (P) 2664-4924 (E)
Home Page: http://habibiaislamicus.com
Approved by HEC in Y Category
Indexing: IRI (AIOU), Australian Islamic Library, ARI, ISI, SIS, Euro pub.
PUBLISHER HABIBIA RESEARCH ACADEMY
Project of **JAMIA HABIBIA INTERNATIONAL,** Reg. No: KAR No. 2287 Societies Registration Act XXI of 1860 Govt. of Sindh, Pakistan.
Website: www.habibia.edu.pk,
This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

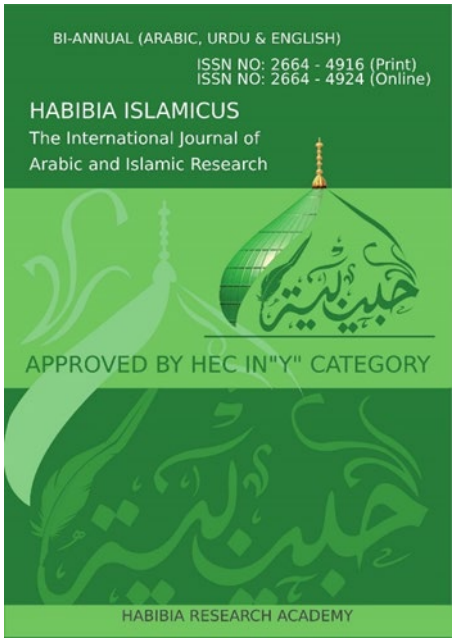

TOPIC:

EXPRESSIVE WAYS IN QURANIC DISCOURSE, CONSIDERING THE DIFFERENCE IN SITUATION

الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني بمراعاة اختلاف المقام

AUTHORS:

1. *Dr. Samia Nazish, Asst.Prof. Arabic Department, IIUI. Email: nazishsamia@gmail.com, ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-7519-8854*
2. *Shakeel Ahmad, Lecturer, Dept. of Arabic, Allama Iqbal Open University, Islamabad. Email: ibnekhursheed3@gmail.com , https://orcid.org/0000-0002-7579-9289*

HOW TO CITE: *Nazish, Samia, and Shakeel Ahmad. 2021. "EXPRESSIVE WAYS IN QURANIC DISCOURSE, CONSIDERING THE DIFFERENCE IN SITUATION:* الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني بمراعاة اختلاف المقام*". Habibia Islamicus (The International Journal of Arabic and Islamic Research) 5 (1):25-36. https://doi.org/10.47720/hi.2021.0501a03.*
URL: http://habibiaislamicus.com/index.php/hirj/article/view/167
Vol. 5, No.1 || January –April 2021 || P. 25-36
Published online: 2021-02-10

QR. Code

EXPRESSIVE WAYS IN QURANIC DISCOURSE, CONSIDERING THE DIFFERENCE IN SITUATION

الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني بمراعاة اختلاف المقام

Samia Nazish , Shakeel Ahmad

ABSTARCT

Rhetoric is the conformity of speech with the eloquence of its vocabulary and its compounds according to the situation, that surrounds the speech is called the situational context. This includes the time and place, condition of the speakers and the addressees, and circumstances of the speech. Rhetoric does not stop at the choice of words, structures and rhetorical arts, according to the requirement of the situation. Rather, it goes beyond choosing expressive ways that carry those words, structures and rhetorical arts. The ways differ according to the difference of the situation, and the situation requires one way or another or more than one way to indicate the intended meanings. Expressive ways have been varied in the Quranic discourse considering the difference in situation to express the intended, it did not adopt only one way that express the intended in all situations. This research aims to study the expressive ways used in the Quranic discourse considering the difference in situation and its effect on the souls. The topic is addressed in this research with the descriptive approach and the analytical approach for highlighting the importance of expressive ways to reach the desired meaning in the Quranic discourse.

KEYWORDS: *Expressive ways, Quranic discourse, difference in situation.*

ملخص البحث:الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الخالد المعجز بلفظه وبنظمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، على آله وصحبه ومن اتبع هداه ، وبعد: إن البلاغة هي مطابقة الكلام مع فصاحة مفرداته ومركباته لمقتضى المقام ، وما يحيط بالخطاب هو يسمى بمقام الخطاب أو مقتضى الحال أو سياق المقام. ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال المتكلمين والمخاطبين ، وظروف الخطاب وملابساته الخارجية. ولا تتوقف البلاغة عند اختيار الألفاظ والتراكيب والفنون البلاغية مراعاة مقتضى المقام بل يتعدى ذلك إلى اختيار الأساليب التعبيرية التي تحمل تلك الألفاظ والتراكيب والفنون البلاغية. تختلف الأساليب بحسب اختلاف المقام ، والمقام يقتضي أسلوب دون أخرى أو أكثر من أسلوب لبيان المعاني المقصودة.

قد تنوعت الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني مراعاة مقتضى المقام للتعبير عن المقصود ، لم يُقتصر على أسلوبا واحدا تؤدي المقصود في جميع الأحوال. يهدف هذا البحث إلى دراسة الأساليب التعبيرية المستخدمة في الخطاب القرآني بمراعاة اختلاف المقام وبيان تأثيرها في النفوس. تتم معالجة الموضوع في هذا البحث بالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي بغية الوصول إلى إبراز أهمية الأساليب التعبيرية للوصول إلى المعنى المطلوب في الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: الأساليب التعبيرية ، الخطاب القرآني ، اختلاف المقام.

المقدمة: إن القرآن الكريم آية معجزة في فنه اللغوي وأسلوب خطابه – الذي بهر العقول وأراح النفوس وطمأن القلوب – مراعاة جميع الأحوال المحيطة بالمقام. ومراعاة اختلاف المقام في الخطاب القرآني ظاهرة بينة ، فلا يكاد يخلو موضع من مواضع التعبير من مراعاة اختلاف المقام. يقال: لكل مقام مقال ، كما ذهب بشر بن المعتمر – فيما نقله عنه الجاحظ –

في صحيفته المشهورة (الرسالة) إلى أن : " إنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال." [1]وهو الأمر الذي يوضّحه الجاحظ بقوله: " وينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات." [2] وقد استمر المفهوم نفسه لمقولة " لكل مقام مقال " عند الخطيب القزويني[3] الذي ذهب إلى أن: " وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته." [4]

فالمقام عند البلاغيين يتضمن عناصر شتى أهمها: الخطاب ، وطرفاه (المخاطَب والمخاطِب) ، والظروف والملابسات المحيطة بالموقف الكلامي. قد سئل ابن المقفع عن البلاغة فقال: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستمتاع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون في سجعا وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل."[5] وهذا يدل على أن من البلاغة مراعاة مقتضى المقام في اختيار الأساليب التعبيرية. فالأساليب تختلف باختلاف المقام ، " إذ مقام الشكر يباين مقام الشكاية ، مقام الهزل يباين مقام الجد ، ومقام الترغيب يختلف عن مقام الترهيب." [6]

فهذه الأساليب تشمل الطرق اللفظية وغير اللفظية. الطرق اللفظية: كالدعاء والخطابة والحوار والوصية والقصة والمثل. والطرق غير اللفظية: كالإشارات أو الإيماءات والسلوك (تعبيرات الوجه وحركة العينين واليدين وطريقة الجلوس وغيرها)

الطرق اللفظية هي من أهم الوسائل على اختلاف أجناسها قادرة على التعبير والدلالة ، لكن يقتضي بعض الأحوال أن يعبر المرء عما في نفسه بالطرق غير اللفظية التي تسهم بصورة كبيرة في كشف الدلالات والمعاني. قد عد العلماء من البلاغيين واللغويين هذه الطرق غير اللفظية من أنواع البلاغة والبيان. قال الجاحظ تحدث عن هذه الطرق:" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها: اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نِصْبَة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا." قد تنوعت الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني مراعاة مقتضى المقام لتحقيق أهدافه ومقاصده، لم يُقتصر على أسلوبا واحدا تؤدي المقصود في جميع الأحوال. فهو حينا يعتمد أسلوب الحوار ، وحينا آخر يعتمد أسلوب ضرب المثل ، وتارة يعتمد أسلوب القصة. هذه هي من الأساليب التعبيرية التي استخدمها القرآن الكريم تكمل بعضها بعضا ، تتداخل في النص الواحد ، مثل: الحوار يتضمن الخطبة ، والخطبة تتضمن الوصية والدعاء ، والدعاء يصحب الإشارة ، والإشارة تصحب الحوار ، وعلى هذا النص الواحد يتكرر بالأساليب المختلفة.

معنى هذا أن الخطاب القرآني لم يعتمد أسلوبا واحدا ، بل تعددت أساليبه برعاية اختلاف المقام. لذا جاء اختيار هذا البحث لدراسة الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني بمراعاة اختلاف المقام ، وقد يسعى البحث إلى بيان الطرق اللفظية وغير اللفظية من الأساليب التعبيرية ، معتمدا على المنهج التحليلي البلاغي القائم على دراسة بعض الشواهد من الخطاب القرآني.

الطرق اللفظية

أ- **أسلوب الدعاء:** الدعاء هو: " الطلب على وجه التضرع والخضوع ، ويكون من الأدنى إلى الأعلى منزلة." [7] كثيرا ما يأتي الدعاء بصيغة الأمر ، وذكر البلاغيون أنه " من المعاني التي تستعمل فيها صيغة الأمر لغير طلب الفعل على سبيل الاستعلاء تكليفا وإلزاما. " [8] وقد ورد الدعاء بصيغ مختلفة في الخطاب القرآني مراعاة اختلاف المقام ، صيغة الأمر هو أكثر الصيغ ورودا ، " وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآيات الكريمة هو إظهار كمال الخضوع لله ، وبيان شدة الرغبة في تحقيق الأفعال حتى كأنها أمور مطلوبة من الله جل وعلا." [9] ويأتي الدعاء أيضا بصيغة النهي إذا كان على وجه التضرع والتذلل. ويأتي بصيغة الماضي تفاؤلا بتحقق المدعو به أو إظهارا للرغبة في حصوله ، ومن ذلك:

1. **إظهار كمال الخضوع لله** :قوله تعالى: (**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**) [10] قد ورد الدعاء بفعل الأمر ، والأظهر أن الأصل في صيغ الأمر – فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر — أن: " يطلب بها حصول الفعل من المخاطَب على جهة الاستعلاء، فيراد بها التكليف والإلزام." [11] وقد تخرج صيغ الأمر في بعض المواقف عن معناها الأصلي مراعاة لمقتضى المقام إلى معان أخرى. وفي هذا السياق الدعاء بصيغة الأمر لإظهار كمال الخضوع لله عز وجل ، وللتفاؤل بالاستجابة ، وإظهار الحرص في سرعة استجابته.

2. **بيان شدة الرغبة** :قوله الله تعالى: (**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ...**) [12] قد ورد هذا الدعاء بصيغة النهي ، والأصل في صيغة النهي أن: " تكون على سبيل الاستعلاء إلزاما بالكف، وتحريما للفعل إلا أن النهي قد يأتي لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال." [13] هنا الدعاء بأسلوب النهي يصور شدة الرغبة على أن يحقق الله عز وجل للمدعو به دعاءه ويجيب طلبه.

3. **التأدب والحياء** :قوله تعالى: (.... **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) [14] جاء دعاء سيدنا أيوب عليه السلام بأسلوب الخبر ، والخبر قد يقع موقع الإنشاء والإنشاء قد يقع موقع الخبر للأغراض البلاغية المختلفة. قد ذكر البلاغيون للتعبير عن الإنشاء بصيغة الخبر أغراضا بلاغية، منها: " التفاؤل بالوقوع، وإظهار الحرص في وقوع الخبر، والاحتراز عن صورة الأمر، وحمل المخاطب على المطلوب أبلغ حمل بألطف وجه." [15]

هنا لم يدع أيوب عليه السلام الله صراحة لاحتراز عن صورة الأمر بل عرض حاجته بالخبر دون إنشاء للتأدب والحياء مع الله لرفع البلاء والضر عنه.

4. **استعطاف وتذلل** :قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: (... **أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**....) [16]، وقوله تعالى: (... **فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**)[17] قد ورد الدعاء في الآيتين بأسلوب الاستفهام ، الاستفهام في حقيقته يستعمل لطلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وقد يخرج عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من المقام.فهذا الاستفهام في الموضعين جاء في سياق استعطاف وتذلل.

ب- **أسلوب الحوار**: الحوار هو: من حاورَ يحاور محاورة ، وحديث يجري بين شخصين أو أكثر." [18] قد ورد في تاج العروس أن الحوار يعني المحاورة: مراجعة الكلام.[19] كما جاء في لسان العرب تحت جذر (ح و ر) : " وهم يتحاورون ، أي: يتراجعون الكلام."[20] "وقد يكون الحوار عن طريق السؤال والجواب ، وقد يكون بغيره."[21] أما الحوار في الاصطلاح اللغوي فهو شكل من أشكال الحديث بين طرفين يتم فيه تداول الكلام بينهما في أمر ما.

أسلوب الحوار من الأساليب البيانية التي يوصل بها القرآن معانيه إلى المتلقي ، ويشد انتباه المتلقي ويجعل الإقبال على متابعة النص أشد. الحوار في الخطاب القرآني متعدد الجوانب ، فقد يخاطب الإنسان نفسه ويحاورها عما يجيش في النفس من خواطر ، وأحيانا يجري الحوار بين الله والملائكة أو بين الله والإنسان ، وأحيانا يجري الحوار بين الملائكة والإنسان أو بين الإنسان والشياطين أو بين الإنسان والحيوان. وثمة معاني عديدة تدعو إلى الحوار في الخطاب القرآني مراعاة مقتضى الحال ، فهناك ما يفيد معنى الدعوة والتعليم ، وهناك ما يفيد معنى التلقين والتقرير ، وهناك ما يفيد معنى النصح أو الاعتراف ، وهناك ما يفيد معنى التهديد والوعيد ، أو غير ذلك من المعاني. ومنها:

1. **التلقين والتقرير**: قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: (**قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [22] قد يحاور نوح عليه السلام الملأ من قومه الذين قادوا قومهم في مواجهته ، وهم الذين أثاروا الشبهات ضده وضد أتباعه ودعوته ، وقدّموا طلباتهم له ، ووجّهوا تهديداتهم إليه. ويرد نوح عليه السلام شبهاتهم بطريق التلقين ، ويستعلي عليهم بإيمانه متوكلا على الله بطريق التقرير.

2. **إثبات قدرة الله** :قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [23] سأل إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل أن يريه كيفية إحياء الموتى ، وهو لم يسأل شكا أو تعنتا ، إنما سأل ليترقى بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين. قوله عليه السلام: (أرني كيف تحي الموتى) يدل على طلب

مشاهدة الكيفية ، ليس اختبار القدرة الإلهية. فهذا الحوار يفيد إثبات قدرة الله على إحياء الموتى ، وولاية الله للمؤمنين وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور. [24]

3. التهديد والوعيد

قوله تعالى: (**فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**) [25] أي: قال الله لموسى وهارون: " لا تخافا من فرعون ، فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداه. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على مَن كذَّب وأعرض عن دعوته وشريعته." [26] وهذا الحوار في مقام التهديد والوعيد لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته.

ج- أسلوب القصة: القصة هي: " تعبير عن الحدث ، بما يحويه من شخصيات وحوار وزمان ومكان ومضامين وعناصر غيرها." [27] تعد القصة من أهم الأساليب التعبيرية المؤثرة في النفس البشرية ، لما في النفس من ميل طبعي في سماعها وقراءتها وروايتها ومشاهدة أحداثها في الواقع. في الخطاب القرآني أساليب متعددة من البيان، وأكثر هذه الأساليب تأثيرا في النفوس هو الأسلوب القصصي الذي يخبرنا بما حصل من الأحداث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ ، والأحداث التي جرت مع الأنبياء والرسل وغيرهم من الأمم السابقة مع تكرار بعضها في أكثر من موضع. وفيها ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وإنذار وتسلية النفس وصبرها بما يقتضي المقام. وبيان ذلك فيما يلي:

1. **تسلية النفس وصبرها:** قوله تعالى: (**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**) [28] قد قص القرآن الكريم على الرسول الكريم ﷺ جملة من قصص الأنبياء من قبله ومواجهة أعدائهم لهم ، في مقام تثبيت قلبه ، وتسلية نفسه ونفوس أصحابه عما لحقهم من أذى عما في سبيل تبليغ دعوة الحق إلى الناس. وبعد أن قص عليه من أنباء الرسل ورد قوله تعالى ليبين حال المخاطب الذي راعاه في اختيار أسلوب القصة ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ بعد أن قص عليه قصة نوح عليه السلام: (**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**) [29]

2. **الترغيب والترهيب:** قوله تعالى: (**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) [30]

قد قص الخطاب القرآني جانبا من قصص نوح وإبراهيم ولوط وشعيب وهود وصالح وموسى عليهم السلام مع أقوامهم ، فكلا من هؤلاء المذكورين كقوم نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام ، أخذهم الله وأهلكهم بسبب ذنوبهم التي أصبروا عليهم ولم يرجعوا عنها. فمنهم من أرسل عليه ريحا شديدة رمته بالحصاة كقوم لوط ، ومنهم من أخذته الصيحة الشديدة المهلكة كقوم

صالح وشعيب ، ومنهم من خسف به الأرض وهو قارون ، ومنهم من أغرقه كما فعل مع قوم نوح ومع فرعون وقومه. وما كان الله تعالى مريدا لظلمهم ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، وأوردوها موارد المهالك بسبب إصرارهم على كفرهم وجحودهم. [31] إن القرآن الكريم ساق لنا قصص الجاحدين ثم بين سوء مصيرهم في مقام الترغيب والترهيب.

3. **التعليم والتربية:** قوله تعالى: (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**) [32] قد ساق الخطاب القرآني أسلوبا راقيا في قصة نوح عليه السلام مع ابنه ، وحرص نوح عليه السلام على صلاح ابنه والتفاهم والدعوة بالموعظة الحسنة ، حيث ناداه: يا بني ، فنداءه بالتصغير في مقام الحب والشفقة ، وفي مقام التربية ليستجيش به مشاعر قلبه للإيمان والنجاة.

د– أسلوب الخطابة: الخطابة هي : " فن مخاطبة الجمهور لإقناعهم واستمالتهم ، ولا بد في الخطابة من جمهور ، فمن يحادث فردا لا يسمى خطيبا ، ولا توصف المحادثة بالخطبة." [33] قد امتاز القرآن الكريم بأسلوب الخطابة يتسم بالشمول حيث إنه لم يجعل نداءه إلى فئة دون فئة ، أو جنس دون جنس ، أو أهل دين دون غيرهم. بل شمل جميع أصناف المخاطبين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وأديانهم حسب المقام الذي قيلت الخطبة من أجلها. إذا نتدبر الخطابة القرآنية في أسلوبه وبلاغته ، نجد أنها تبدأ الخطابة بالنداء كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا أيها الإنسان، يا أيها الذين كفروا ، يا موسى، يا نوح ، يا نساء النبي). قد تنوع النداء في الخطابة القرآنية برعاية أحوال المخاطبين كالتنبيه والتهكم والتلطف والتعجب والتوكيد. بيان ذلك فيما يلي:

1. **دعوة الناس إلى الإيمان** :قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) [34] ، وقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا**) [35] بدأ الخطاب بحرف نداء (يا) ، في أصله لنداء البعيد ، أما نداء القريب بحرف نداء (أي) وهمزة. يرى الإمام الزمخشري : " ينادي بها القريب لتنزيله منزلة غيره إما لعلو مرتبة المنادى أو المنادى ، قد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده. وقد يكون هذا للاعتناء بأمر المدعو له والحث عليه لأن نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحث. " [36] فالخطاب بصيغة (يأيها الناس) هو خطاب عام من ناحية المخاطب ، ومن ناحية موضوع الخطاب. وهذا الخطاب من الله سبحانه وتعالى إلى عموم الناس لدعوتهم إلى اتباعه.

2. **التوبيخ** :قوله تعالى: (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [37] أي: لأي سبب تكفرون بتلك الآيات والله مطلع على أعمالكم. قد جاء الخطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى في مقام التوبيخ على كفرهم بمحمد ﷺ وجحودهم نبوته. ثم جاء قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

كرر الخطاب بيأأهل الكتاب ، " لأن المقصد التوبيخ على ألطف الوجوه ، وهذا أقرب إلى التلطف في صرفهم عن طريق الضلال والإضلال ، وأدل على النصح لهم والإشفاق عليهم." [38]

الطرق غير اللفظية

أ- **أسلوب الإشارات:** إن البيان لا يقتصر على اللفظ بل يشمل الإشارات والإيماءات التي " تكون باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط. وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس." [39] ثم قال: " وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان." [40] قد استخدم القرآن الكريم في خطابه اللغة التي تعتمد على الملفوظ في تصوير الحركات الجسمية وهي لغة الإشارات ، حتى يصل رسالته إلى أفهام الخلق أجمعين. إن هذه الإشارات لها ما للفظ من الأهمية ، بل قد تكون أصدق في التعبير عن حقيقة الإنسان من اللفظ. وقد جاءت في الخطاب القرآني بمعان عدة ، منها: الندامة ، والغيض ، والبخل وغيرها.

1. **الندامة:** قوله تعالى: (**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**) [41] أي: يضرب إحدى يديه على الأخرى وهو كناية عن الندم ، كأنه قيل: " فأصبح هذا الكافر ،يقلب كفيه ظهرا لبطن ، تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته." [42] فحركة تقليب الكفين في الآية دلالة على الحسرة على ما أنفق في هذه الجنة ، وندما على الإشراك بالله.

2. **الغيظ:** قوله تعالى: (**هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)[43]

أي: " خلا بعضهم ببعض وانفردوا دونكم ، والمعنى: خلت مجالسهم منكم ، فأسند الخلو إليهم على سبيل المجاز ، عضو عليكم الأنامل من الغيظ وظاهره فعل ذلك ، وأنه يقع منهم عض الأنامل لشدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذ ما يريدون. " [44] فعض الأنامل في حاصل من فعل المنافقين كناية عن الغيظ والحسرة.

3. **البخل:** قوله تعالى: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**) [45]

شبه القرآن البخيل الذي يمسك عن الإنفاق في وجوه الخير بالمقيد الذي غلت يده إلى عنقه ، وكذلك حال هذا البخيل قد قيده بخله ، وغل يده فلا ينفق.

" هذه الإشارة استعير فيها المحسوس للمعقول ، وذلك أن البخل قائم بالإنسان يمنعه من التصرف في ماله ، فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق ، فامتنع من تصرف يده ، وإجالتها حيث تريد، وذكر اليد لأن بها الأخذ والعطاء." [46] فغل اليد إل العنق إشارة غير لغوية دالة على الشح والبخل.

4. **الخوف**: قوله تعالى: (**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**) [47] وضع الأصابع في الآذان إشارة غير لغوية توحي إلى الرعب الشديد من الصواعق. المعروف هو وضع الأنامل في الآذان ، " وهؤلاء المنافقون لم يضعوا الأنامل. ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم} ولم يقل أناملهم. وذلك مبالغة في تصوير تأثير الرعد عليهم. فكأنهم من خوفهم وذعرهم يحاول كل واحد منهم أن يدخل كل إصبعه في أذنه. ليحميه من هذا الصوت المخيف. فكأنهم يبالغون في خوفهم من الرعد." [48]

5. **التواضع**: قوله تعالى: (**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**) [49] قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: " لا تتمنيّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابًا غليظًا (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما مُتعوا به فعجّل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم." [50] قوله تعالى "خفض الجناح " جاء في معنى التواضع.

خاتمة البحث: يمكننا بعد هذا البحث المتواضع أن نخلص إلى النتائج على النحو الآتي: إن البلاغة لا تتوقف في مراعاة مقضى المقام عند اختيار الألفاظ والتراكيب والفنون البلاغية بل يتعدى ذلك إلى اختيار الأساليب التعبيرية التي تحمل تلك الألفاظ والتراكيب والفنون البلاغية، حيث يقتضي المقام أسلوب دون أخرى أو أكثر من أسلوب لبيان المعاني المقصودة.

كما تناول هذا البحث التنوع في الأساليب التعبيرية في الخطاب القرآني الذي لم يقتصر على أسلوبا واحدا تؤدي المقصود في جميع الأحوال، بل أتى بالأساليب المتنوعة بطرق اللفظية وغير اللفظية مراعاة مقتضى المقام للتعبير عن المقصود.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ط1، 1968م.
3. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفديّ ت764هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ.
4. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ت1399هـ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استنبول 1951م، أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
5. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ت739هـ، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.

6. وقائع لغوية وأنظار نحوية: سالم علوي ، دار هومه ، الجزائر (ب.ت) .

7. شروح التلخيص: (مجموعة شروح التلخيص يشتمل على خمسة كتب: في صلب المجموعة ثلاثة كتب وهي على الترتيب: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. وفي الهامش كتابين، وهما على الترتيب: الإيضاح للخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح، وحاشية الدسوقي على الشرح المختصر للسعد التفتازاني)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، (ب.ت).

8. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م.

9. علم المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح فيود، 83/2، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1987م.

10. الإيضاح: ص:141، ومفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السَّكَّاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1407هـ.

11. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ت1424هـ، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.

12. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض المرتضى الزَّبيدي ت1205هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ب.ت).

13. لسان العرب: محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور ت711هـ، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.

14. الحوار، آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية: خالد بن محمد المغامسي ، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ، الرياض ، ط1 ، 1425هـ.

15. صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم: بيروت .

16. فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي، دار نهضة، مصر (ب.ت)

17. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ت1270هـ،، دار الفكر ، بيروت ، 1978م.

18. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ت 1371هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1946م.

19. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت310هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

20. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي ت 745هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، 1420هـ.

21. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي ت 1418هـ ، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

22. فن القصة: د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1996م.

---

[1]. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ط1، 1968م. 86/1.

[2]. السابق: 138/1.

[3]. هو قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني، أشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، والإيضاح في شرح التلخيص. ت 739هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفديّ ت764هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،

1420هـ.240/18، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ت1399هـ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استنبول 1951م، أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان. 150/2.

[4]. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ت739هـ، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م. ص: 13.

[5] . السابق. ص: 116.

[6] . وقائع لغوية وأنظار نحوية: سالم علوي ، دار هومه ، الجزائر (ب.ت) ، ص:168.

[7] . شروح التلخيص: (مجموعة شروح التلخيص يشتمل على خمسة كتب: في صلب المجموعة ثلاثة كتب وهي على الترتيب: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. وفي الهامش كتابين، وهما على الترتيب: الإيضاح للخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح، وحاشية الدسوقي على الشرح المختصر للسعد التفتازاني)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، (ب.ت) ، 320/2 ، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م. ص: 253.

[8] . السابق نفسه.

[9] . علم المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح فيود، 83/2، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1987م. 94/2.

[10] . سورة الشعراء: 84-86.

[11]. ينظر: الإيضاح: ص:141، ومفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السَّكَّاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1407هـ. ص: 318.

[12] . سورة البقرة: 286.

[13]. ينظر: شروح التلخيص: 324/2.

[14] . سورة الأنبياء: 83.

[15]. ينظر: مفتاح العلوم: 324 – 325، وشروح التلخيص: 338/2.

[16] . سورة الأعراف: 155.

[17] . سورة غافر: 11.

[18] . معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ت1424هـ، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م. مادة: ح و ر.

[19] . تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض المرتضى الزَّبيدي ت1205هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ب.ت). مادة: ح و ر.

[20] . لسان العرب: محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور ت711هـ، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ. مادة: ح و ر.

[21] . ينظر: الحوار، آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية: خالد بن محمد المغامسي ، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ، الرياض ، ط1 ، 1425هـ. ص:21-22.

[22] . سورة الأعراف: 60-63.

[23] . سورة البقرة: 260.

[24] . الحوار في القرآن الكريم: ص: 42.

[25] . سورة طه: 47 ، 48.

[26] . التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط2 ، 1430هـ - 2009م. 314/1.

[27] . فن القصة: د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1996م. ص:13.

[28] . سورة هود: 120.

[29] . سورة هود: 49.

[30] . سورة العنكبوت: 40.

[31] . صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم: بيروت ، ص: 461.

[32] . سورة هود: 41-42.

[33] . فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي، دار نهضة، مصر (ب.ت) ص:5.

[34]. سورة البقرة: 21.

[35]. سورة النساء: 174.

[36]. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ت1270هـ،، دار الفكر ، بيروت ، 1978م، 181/1.

[37] . سورة آل عمران: 70- 71.

[38] . تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ت 1371هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1946م.14/4.

[39] . البيان والتبيين: 83/1.

[40] . السابق نفسه.

[41] . سورة الكهف: 42.

[42] . ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت310هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م. 27/18.

[43] . سورة آل عمران: 119.

[44] . البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي ت 745هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، 1420هـ. 320/3.

[45] . سورة الإسراء: 29.

[46] . البحر المحيط: 28/6.

[47] . سورة البقرة : 19.

[48] . تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي ت 1418هـ ، مطابع أخبار اليوم، 1997م ، 178/1.

[49] . سورة الحجر : 88 .

[50] . تفسير الطبري: 141/17.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.